مجلة آفاق لعلم الاجتماع
ISSN: 1112-8259 EISSN: 2600-6855
المجلد 11 العدد 2 / ديسمبر 2021 ص ص 285- 297

رؤية تحليلية لظاهرة عمل الأطفال في الجزائر: مظاهرها وآثارها

An analytical vision of the phenomenon of Children's work in Algeria: Tipes and impacts

أ.صالي عبد العزيز *
جامعة باجي مختار- عنابة، الجزائر

أ.نصيب نعيمة
المركز الجامعي مرسلي عبد الله- تيبازة، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2021/06/23 تاريخ التقييم: 2021/06/24
تاريخ القبول: 2021/11/14

الملخص:

يعتبر عمل الأطفال من الظواهر التي عرفتها الجزائر مع التغيرات السوسيواقتصادية لكن الإحصائيات الرسمية تقلل من حجمها، رغم خطورتها على تربية الطفل ونموه الاجتماعي والصحي.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة عمل الأطفال، معرفة حجمها، أنماطها وآثارها الاجتماعية، التربوية و الصحية واستخدمنا المنهج الوصفي التحليلي.

توصل البحث أن عمل الأطفال في الجزائر أصبح واقعا مس أغلب القطاعات بطريقة غير رسمية، وترتبت عنه آثار سلبية على الطفل من الناحية التربوية، الاجتماعية والصحية.

الكلمات المفتاحية: عمل الأطفال، اقتصاد موازي، تسرب مدرسي، تربية، صحة.

Abstract:

Child labor is one of the phenomena that Algeria has known with the socio-economic changes, but official statistics reduce its size, despite its danger to the child's upbringing and his social and health development.

This research aims to shed light on the phenomenon of child labor, knowing its size, patterns and social, educational and health effects, and we used the descriptive analytical approach.

In the results, we concluded that child labor in Algeria has become a reality that touches most sectors in an informal way, and has negative effects on the child in terms of education, social and health.

Keywords: children's work, informal economic, school dropout, education, health.

* صالي عبد العزيز، البريد الاليكتروني، zizouguel39@gmail.com

1- مقدمة

على الرغم من أن ظاهرة عمل الأطفال في المجتمعات العربية قد انتشرت في السنوات الأخيرة مع زيادة ضغوط الحياة ومتطلباتها، إلا أن الوعي بخطورتها وجسامتها غائب، ففي الجزائر أصبحت مشاركة الأطفال في الحياة الاقتصادية غير الرسمية من الظواهر التي انتشرت حيث نجد الأطفال في الشوارع وفي الورش الحرفية والصناعية يمارسون مختلف النشاطات إما في التجارة أو الصناعة أو الفلاحة وحتى في الخدمات المنزلية، والإحصائيات الرسمية ليست ثابتة بل هي نسبية جدا لان طبيعة الظاهرة تتميز بالموسمية في أغلب الأحيان، أي أن الأطفال العاملين غير مسجلين ضمن قوائم العمال الرسمية والمعتمدة ومنه فإن انتشار هذه الظاهرة هو أكبر بكثير مما تدل عليه الإحصائيات، حيث شهدت توسعا كبيرا خاصة في المناطق الحضرية والمدن الكبرى، أين ينشط الأطفال في أعمال بسيطة وغير متخصصة والكثير منهم يعملون بعد ساعات الدراسة ومنهم من انقطع عنها نهائيا خاصة في ظل انتشار الفقر وانخفاض الدخل والقدرة الشرائية، حيث أصبحت الكثير من الأسر أكثر حاجة إلى مساعدة أطفالها في الحصول على قوت يومها، فدفع بالكثير منها إلى الزج بأبنائها للعمل. هذه الملاحظات أدت بنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ما هو واقع ظاهرة عمل الأطفال في الجزائر؟ وما هي انعكاساتها على مستوى الطفل والمجتمع؟.

تمثلت أهداف البحث في معرفة أهم الآثار الناتجة عن الظاهرة من الناحية التربوية خاصة بالنسبة للمسار المدرسي للطفل أو بالنسبة لعملية التنشئة الاجتماعية، بالإضافة إلى الأخطار الصحية التي يتعرض لها الطفل من بيئة العمل خاصة في الورش الصناعية والحرفية التي تعرضه للكثير من الأمراض، وكذلك الآثار الاجتماعية للظاهرة كانتشار الانحراف وتعاطي المخدرات والجريمة في المجتمع حيث ينخرط الكثير من الأطفال في بعض شبكات العصابات المنظمة وغالبا ما يعملون في مجالات السرقة والاعتداء والدعارة وتجارة المخدرات، بالإضافة إلى ذلك يكتسب الطفل قيم اجتماعية وثقافية جديدة وسلوكات أخرى غير سوية.

2- المنهج المستخدم

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الظاهرة وتحليلها كيفيا وكميا بتقديم بعض الإحصائيات وتسليط الضوء على تطورها منذ وقت الاستعمار حيث كانت منتشرة في المدن والأرياف وارتبطت بالظروف العامة التي سادت البلاد والمتميزة بالضغط الاستعماري ووجود فوارق واسعة بين المعمرين ومختلف فئات المجتمع الجزائري، غير أنه وبعد الاستقلال وظهور مجانية التعليم سمحت لفئات واسعة من الأطفال بالدخول للمدارس على عكس ما كان وقت الاستعمار.

3- مفهوم عمل الأطفال

العمل هو ذلك الجهد أو الطاقة الجسدية والذهنية المبذولة لأداء مهمة معينة بغرض تلبية حاجات الإنسان للحفاظ على حياته، وهذا المفهوم لا يفرق بين العمل الذي يؤجر عليه الإنسان والعمل الذي لا يؤجر عليه، وفي حالة الحصول على الأجر فما هي نوعيته؟ ومن أي جهة يحصل على هذا الأجر؟ وما هي أنواع النشاطات التي يمكن إطلاق لفظ العمل عليها؟ هل يتفق كل من الطفل والراشد في أداء نشاط واحد يمكن إطلاق عليه لفظ العمل؟ وأي نشاط من الأنشطة التي يؤديها الطفل يمكن أن نطلق عليها مفهوم العمل؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات يمكننا إعطاء بعض التعاريف لعمل الأطفال من أجل تحديدها وهي كالتالي:

عمل الأطفال هو جميع أشكال العمل التي يقوم بها الأطفال الذين تقل أعمارهم عما هو منصوص عليه في مواثيق منظمة العمل الدولية، عادة 15 سنة أو أعمار الخروج من التعليم الإلزامي (إبراهيم، 2002، ص 35).

كما يعرف على أنه **"**حالة يجد فيها الطفل نفسه مجبرا على العمل نظرا لعوامل أسرية واجتماعية واقتصادية**"** (Khiati, 2006, p 11).

وحسب المنظمة العالمية للشغل (OIT) ومكتب العمل الدولي (BIT) سنة 2002، فإن عمل الأطفال هو كل النشاطات التي تحرم الأطفال من طفولتهم وكرامتهم وتؤذي نموهم الجسمي والنفسي، إنها كل الأعمال التي تلحق الضرر بالصحة والنمو الجسمي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي للطفل، وتعرض تربيته للخطر بحرمانه من التعليم وتجبره على مغادرة المدرسة، أو على الجمع بين النشاطات المدرسية والعملية وهذا يشكل لهم مشقة كبيرة (Khiati, 2006 p : 12 - 13).

هنالك اختلاف كبير في تحديد مفهوم عمل الأطفال خاصة بالنسبة للأطفال الذين يساعدون أسرهم منذ الصغر مثل ما هو معروف في الأرياف كرعي الأغنام أو جني المحاصيل الزراعية وحتى المساعدة في بعض الأعمال الفلاحية هذا من جهة، ومن جهة أخرى وفي المناطق الحضرية حيث ينشط الأطفال في تجارة الأرصفة والأسواق، هنا يرى البعض أن مساعدة الطفل لأسرته إن ظلت في إطارها المحدد كمساعدة يقدمها الطفل في وقت الفراغ دون تهديد لمساره التعليمي وصحته النفسية والاجتماعية والجسمية، لا تدخل في إطار ما نعنيه بعمل الأطفال في هذا المقام.

توجد ثلاث فئات من الأطفال العاملين، فمنهم من يعمل لدى أسرته في الأعمال الزراعية كجني بعض المحاصيل دون تقاضي أي أجر مقابل ما يؤديه من عمل، ونجد أيضا الطفل الذي يعمل عند الغير ولا يمتلك إلا قوة عمله ويتقاضى أجرا نقديا مقابل ما يؤديه من عمل، كما نجد فئة الأطفال المتمدرسين وهم المقيدون بالتعليم ويعملون موسميا خارج أوقات الدراسة أو في العطل المدرسية.

ويرى البعض أن عمل الأطفال قد يأخذ بعدا إيجابيا عندما يضم كافة الأعمال التطوعية أو حتى المأجورة رمزيا التي يقوم بها الطفل وتكون مناسبة لسنه وقدراته الجسمية، حيث يمكن أن تنعكس ايجابيا على نموه الجسمي والعقلي والنفسي، خاصة إذا قام بها باستمتاع والتي من خلالها يتعرف على المسؤولية والتعاون والتسامح والتطوع مع الآخرين. أما العمل السلبي فهو العمل الذي يهدد سلامة وصحة ورعاية الطفل ويضع أعباءا ثقيلة على كاهله، وهو أيضا ذلك العمل الذي يستخدم الأطفال ولا يساهم في تنميتهم، بل يعيق تعليمهم وتدريبهم ويغير حياتهم ومستقبلهم.

من خلال ما سبقا يمكننا القول أن عمل الأطفال هو كل نشاط يقوم به الطفل في سن مبكرة وغير قانونية من أجل الحصول على كسب مادي أو غير مادي، منتظم أو غير منتظم، سواء كان في مجال العمل الخدمي أو الزراعي أو الصناعي أو التجاري أو الهامشي، المشروع أو غير المشروع وقد يمارسه الطفل بمفرده أو مع أفراد أسرته، وهذا العمل يعود عليه بالضرر الجسمي التربوي النفسي الاجتماعي.

4- تطور عمل الأطفال في الجزائر

اختلفت مظاهر عمل الأطفال في الجزائر بحسب ظروف كل مرحلة زمنية، ففي الفترة الاستعمارية ارتبطت الظاهرة بالظروف العامة التي سادت البلاد والمتميزة بالضغط الاستعماري ووجود فوارق واسعة بين المعمرين ومختلف فئات المجتمع الجزائري.

ففي الأرياف نجد من الأطفال من كانوا يساعدون عائلاتهم في النشاطات الفلاحية، أي خدمة قطعة الأرض الصغيرة التي يمتلكونها، أو بالعمل في المساحات الواسعة التي يمتلكها المعمرين(بن أشنهو، 1979، ص 135).

أما في المدن فلم يكن تقريبا اختلاف في الظروف المحيطة بعمل الأطفال، فالاختلاف الوحيد كان يكمن في نوعية العمل، حيث أن الأطفال القاطنين بالمدن ارتبطت أعمالهم بطبيعة المدينة المختلفة عن الريف، فانتشرت ظاهرة بيع الجرائد ومسح الأحذية وزجاج السيارات أو نقل مشتريات المعمرين من الأسواق إلى بيوتهم. وهكذا ارتبطت الظاهرة في هذه الفترة بخصائص هذه الأخيرة، غير أنه وفي الفترة التي تلت الاستقلال حدثت عدة تغيرات وعلى عدة مستويات، فبدأ التفكير في البرامج الاقتصادية التي تهدف إلى عملية التنمية الاقتصادية ورفع المستوى المعيشي بالإضافة إلى ظهور سياسة التعليم المجاني التي سمحت لفئات واسعة من الأطفال بالدخول إلى المدارس عكس ما كان عليه في فترة الاستعمار حيث لم يكن يلتحق بالمدارس إلا أبناء المستوطنين وفئة قليلة من الجزائريين الذين سمحت لهم الظروف.

غير أنه وفي فترة ما بعد الاستقلال وبتمركز التصنيع بالمدن والمراكز الحضرية الكبرى وما تلاه من انتقال عشوائي للعائلات الريفية صوبها، ظهر شكل جديد من أشكال عمل الأطفال وهو المرتبط بالظروف السيئة للعائلات المستقرة بالضواحي، فمن آثار هذه الهجرة على الأسر النازحة نجد لجوء الأطفال إلى ميادين العمل المختلفة كالمتاجرة ببعض المواد الاستهلاكية أو بيع التبغ في شوارع وأزقة المدن وضواحيها.

5- عمل الأطفال في الجزائر اليوم

عرف عمل الأطفال في الجزائر اليوم توسعا كبيرا جدا وذلك تزامنا مع التغيرات السوسيواقتصادية التي حدثت نتيجة الانتقال من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق عبر برامج إعادة الهيكلة الاقتصادية التي فرضها صندوق النقد الدولي على الكثير من الدول ومن بينها الجزائر في مطلع التسعينات وما تبعه من خصخصة للمؤسسات وتصفية أعداد كبيرة منها، الأمر الذي أنتج تسريح أعداد كبيرة من العمال من المؤسسات العمومية، إضافة إلى رفع الدولة لدعمها للكثير من المواد الاستهلاكية والذي نتج عنه ارتفاع مذهل للأسعار ومنه انخفاض للمستوى المعيشي، إن لم نقل إفقار فئات واسعة من المجتمع الجزائري، إذ أصبحت الكثير من الأسر مصنفة تحت خط الفقر بعد تسريح رب الأسرة من العمل الذي كان يسترزق منه ويعيل أسرته.

إن الكثير من المفكرين الاجتماعيين قد أكدوا أن للفقر آثار سلبية على المجتمع منها انتشار مظاهر الفساد والانحراف وخروج الأطفال للشوارع.

إن وضع العائلة من الناحية الاقتصادية هو بيت القصيد في إرسال الطفل إلى سوق العمل بدلا من المدرسة، وهو ما أكدته مختلف الأبحاث حول هذا الموضوع، فقد تأكدت الأطروحة القائلة بأن الفقراء هم الذين يرسلون أطفالهم إلى سوق العمل بحثا عن دخل أكبر لمواجهة متطلبات العيش(عبد الله، 1995، ص 19).

كما قد ترتفع نسب السرقة والاعتداء والتسرب المدرسي بسبب عدم القدرة على التكيف في المدارس الأمر الذي يزيد من عدد الأطفال المطلوبين في سوق العمل، كما هو ملاحظ في الجزائر اليوم في أغلب المناطق الحضرية خاصة، حيث نلاحظ أعدادا كبيرة من الأطفال أغلبهم تحت سن السادسة عشر، غزو كل الأمكنة من أجل بيع التبغ والسجائر والخضر والفواكه والألبسة. فمجرد صندوق صغير وبعض علب السجائر كافية لأن يغادر الطفل لمقاعد الدراسة ليتجه إلى عالم البزنسة.

إن عدد الأطفال العاملين في الجزائر يتزايد من يوم لآخر، البعض يعمل وهو مازال يدرس والبعض الآخر توقف عن الدراسة نهائيا، وتفرغ للحياة العملية إما بتشجيع من المجتمع أو من قبل والديه. ولكن حسب الإحصائيات المصرح بها في المؤسسات الرسمية فإن الظاهرة منعدمة تقريبا، ويمكن تفسير ذلك بمرسوم إجبارية التعليم الذي تبنته الجزائر بعد الاستقلال، كما يمكن إرجاعه إلى نوعية العمل الممارس المتميز بالخفاء أحيانا أي غير مصرح به لا من قبل الأولياء ولا من قبل الأطفال أنفسهم، وذلك لأنها تعتبر مسألة شرف عند العائلات الجزائري (Saib Musette,1988, p 34). كما أن هذا العمل الممارس ظرفي وموسمي حيث يعمل الطفل كمساعد للعائلة، وهذه المساعدة لا تعتبر عملا بل تعتبر واجبا بالنسبة للابن أي أن يساعد أسرته في وقت فراغه من المدرسة أو في العطل المدرسية.

أصبح عمل الأطفال في الجزائر ظاهرة عادية تقريبا، حيث نلحظه في كل مكان وخاصة في القطاع الموازي، كبائعي السجائر والأشياء المختلفة والمواد الغذائية والخبز على طول الشوارع والطرق والأسواق وحراسا للسيارات أو غسلها... ونجدهم حتى في بعض الورش الحرفية، بحجة التمهين، وفي المناطق الريفية نجدهم في الفلاحة أو الرعي(khiati, 2006, p 43).

وكما ذكرنا سابقا ورغم هذا الواقع فلا نجد إحصائيات دقيقة، وإن وجدت فأغلبها عبارة عن تخمينات ونتائج لدراسات أو تحقيقات محدودة جدا، وأمام هذا الواقع فإن مسؤولي قطاع العمل يحاولون التقليص من أهمية وحجم الظاهرة.

حسب إحدى المنظمات العالمية للطفولة في بروكسل وفي دراسة لها فإن عدد الأطفال العاملين في الوطن العربي قارب 4.5 مليون طفل، وفي الجزائر وحدها يوجد ما يقارب 1.8 مليون طفل عامل، 1.3 مليون منهم تتراوح أعمارهم بين 6 إلى 13 سنة أي 70%، و 56% منهم هم إناث، و15.4% هم يتامى الأب أو الأم، 52.1% منهم يقطنون بمناطق ريفية (Khiati, 2006, p 43).

وحسب إحصائيات مكتب العمل الدولي فإن عدد الأطفال العاملين في الجزائر هو 1.6 مليون تتراوح أعمارهم بين 10 و16 سنة، يعملون في المقاهي والمخابز والمطاعم وحسب دراسة أقيمت من طرف CENEAP سنة 2000 فإن عدد الأطفال العاملين في الجزائر هو 12000 طفل(Khiati, 2006, p 44).

6- أنماط عمل الأطفال في الجزائر

عرفت الجزائر منذ الاستقلال توسعا كبيرا في ظاهرة النزوح الريفي إلى المناطق الحضرية، ويرجع ذلك إلى قلة النشاطات الاقتصادية في المناطق الريفية بالإضافة إلى الفقر الذي مس فئات اجتماعية واسعة خاصة الأرياف، الأمر الذي جعل من عمل الأبناء الصغار ضرورة حتمية عند أغلب العائلات الريفية خاصة وأن نسبة التمدرس في الأرياف هي أقل من المناطق الحضرية، ومنه جعل هذا خاصية العمل في القطاع الفلاحي هي الغالبة وهذا بين سنة 1966

و1984، حيث كان هناك 7 من 10 أطفال عاملين هم في قطاع الفلاحة سنة 1966 وفي سنة 1984 أصبحوا 8 من 10 أطفال(Saib Musette, 1988, p 36).

أما اليوم ونتيجة للتغيرات الاقتصادية التي عرفتها الجزائر مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات والمتمثلة في برامج إعادة الهيكلة الاقتصادية (PAS)، أي انتقال الاقتصاد الجزائري من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق، وما صاحبه من تغيرات جذرية من الناحية الاجتماعية، ظهر تسريح العمال وبأعداد هائلة من المؤسسات الاقتصادية وما رافقه من ارتفاع لنسب البطالة والفقر وخروج أعداد كبيرة من الأطفال لممارسة نشاطات اقتصادية غير رسمية عدة وحتى الكبار منهم وأغلب هذه النشاطات تتمثل في التجارة الحرة أو ما يعرف بالسوق الموازية والحرف اليدوية وظهور ما يسمى بالربح السريع في السوق الموازية.

يمارس الأطفال العاملون أعمالا تتراوح بين الأعمال البسيطة والهامشية والظرفية أو الموسمية وتتم هذه الأعمال في أغلب الأحيان في ظروف صعبة تحرمهم من الحياة العادية المناسبة لأعمارهم، بسبب نقص خبرتهم وضعف قدراتهم، ولأن هذه الظاهرة تتم في غفلة من القانون فإنها لا تسجل كظاهرة رسمية، ومنه تكون هنالك مظاهر للاستغلال لهذه الفئة واضحة إلى درجة أن بعضهم لا ينال حتى أجرا نظير عمله، وهذا في غفلة من القانون وغياب القواعد المنظمة للعمل وافتقاد الرقابة الرسمية لتشغيل الأطفال، وعدم وجود هيئات تحميهم من الاستغلال أو الولوج إلى سوق العمل أصلا الذي يعرضهم إلى شتى أنواع المخاطر التربوية والصحية والاجتماعية.

حسب دراسة قام بها مرصد حقوق الطفل (ODE) حول ظاهرة عمل الأطفال في الجزائر في ثمانية ولايات في وسط البلاد وهي بومرداس، تيزيوزو، البويرة، بجاية، تيبازة، البليدة، عين الدفلة بالإضافة طبعا إلى الجزائر العاصمة. وكان حجم العينة فيها 2979 طفلا عاملا مستجوبا وهي أكبر عينة للدراسة حول هذه الظاهرة في الجزائر إلى يومنا هذا، توزعت أنواع الأعمال التي يمارسها الأطفال كما يلي(Khiati Mostefa, 2006, p 65):

6-1- أعمال فلاحية:

وقد مثلت نسبة 10% وكانت أعلى نسبة فيها يعملون رعاة بنسبة 7.21% ثم تليها نسبة 2.1% يعملون في الفلاحة كجني المحاصيل أو الغرس أو السقي وأحيانا حتى في حراسة الحقول ثم البقية يعملون في تربية الحيوانات.

6-2- أعمال تجارية حرة:

مثلت تقريبا أعلى نسبة في هذه الدراسة 50% حيث كانت تجارة التبغ والسجائر هي السائدة بنسبة 13.77%، ثم بيع الخبز بنسبة 12.96% ثم يأتي بيع الخضر والفواكه بنسبة 8.97% وتأتي نشاطات أخرى عدة بنسب متفاوتة كبيع الملابس والفول السوداني وبيع الحليب والمحاجب والجرائد والهواتف النقالة والحلويات والورود وبيع الزلابية وقلب اللوز خاصة في بعض المواسم كشهر رمضان، وبيع العصافير في الأسواق الأسبوعية.

6-3- العمل في قطاع النقل:

وشكل هذا القطاع 2% في هذه الدراسة حيث نجد الكثير من الأطفال يعملون في حافلات النقل العمومي كقابض (Receveur) بنسبة 2.92% إضافة إلى مهنة حارس سيارات أو غسيلها.

4-6- قطاع التمهين:

وشكل 8% وكانت أعلى نسبة فيه عند صنف الحلاقة أي مساعد حلاق بنسبة 3.15%، ومساعد في ميكانيك السيارات بنسبة2.71% بالإضافة إلى نشاطات أخرى كغسيل الملابس أو الخبازة أو مساعد مجوهراتي أو مساعد جزار أو اسكافي.

5-6- أعمال تشكل خطورة على الطفل:

وكانت نسبتها 4% في هذه الدراسة ومثلت أعلى نسبة فيها العمل في قطاع البناء أي مساعد بناء، حيث أن هذا القطاع يشكل خطرا جسيما على الطفل نظرا لضعف بنيته الجسدية وقلة خبرته وتعرضه لمخاطر كثيرة كخطر السقوط أو الأحمال الثقيلة أو خطر العمل في الاسمنت على صحته الجسمية، كتعرضه للأمراض الجلدية والتنفسية. هذا إضافة إلى أعمال أخرى قد تشكل مخاطر على الطفل كتعرضه للاستغلال الجنسي أو الصيد في البحار أو جمع البلاستيك في المفرغات أو المنازل.

6-6- أعمال أخرى:

وشكلت 5%، فهنالك أعمال أخرى كثيرة قد يمارسها الأطفال تختلف حسب الظروف والمواسم أو كما يعرف بالعامية بريكول (Bricolage)، مثل النوادل ومساعد في المنازل أو قابض في قاعة ألعاب.

كما نجد أيضا في الجزائر نوعا آخر من النشاطات وهي أعمال البادية، هذه الأخيرة التي تعتبر تجمعا معهودا لسكان الصحراء، يدعون بالبدو ونشاطاتهم تعتمد أساسا على التنقل ورعي الأغنام، إذ يستعينون بأبنائهم الصغار في الكثير من النشاطات. فنجد مثلا عند بدو الطوارق أن الابن لدى بلوغه الخامسة من العمر، يدفع مع إخوته لتعلم رعي الأغنام، كما أن دخوله سن السادسة يعتبر انتقالا من داخل المخيم إلى حياة أكثر شمولية تتميز بتعلم تفصيل ملابسه والتحكم في صناعة الأشياء من الجلود (السويدي، 1990، ص89).

أصبحت الجزائر اليوم تعرف انتشارا واسعا للفقر والبطالة خاصة في المناطق الريفية، الأمر الذي زاد من حدة النزوح الريفي إلى المناطق الحضرية وانتشار البيوت القصديرية في المدن الكبرى، كل هذا كان له الأثر العميق على ظاهرة عمل الأطفال وتنوعها، وظهور أنواع جديدة واختفاء أنواع أخرى فمثلا مسح الأحذية ظاهرة قد اختفت وظهرت مهنة عامل بالمنزل أو رعاية الصغار بالنسبة للإناث وبيع مختلف المواد بالنسبة للذكور، كما يمكن أن نجدهم أي الذكور في بعض المؤسسات الصناعية الخاصة غير الرسمية (السويدي، 1990، ص 176).

7- آثار عمل الأطفال

قد يكون لعمل الأطفال آثار على عدة مستويات حيث يجد الطفل نفسه في بيئة جديدة وهي بيئة العمل التي في غالب الأحيان تتمثل في الشارع حيث يكون علاقات مع أفراد لا خيار له في اختيارهم أو انتقائهم. فهنالك أنواع معينة من الأعمال تعرض من يمارسها للتعرف على أنماط كثيرة من الناس كالعمل في الأماكن العامة والمقاهي ومحلات تناول الخمور والمخدرات وتجارة الأرصفة وغيرها. ولا شك أن مثل هذه المهن تتيح المجال للأطفال لتعلم فنون الجريمة والاحتيال خاصة إذا كان هؤلاء الأطفال بعيدين عن رقابة الأسرة (جعفر محمد، 1984، ص 60).

إن الطفل ينشأ بالشكل السليم في حالة ما إذا راعى المحيطون به قدرته الجسمية وإمكاناته الذهنية، ففي حالة ما إذا توجه إلى سوق العمل نتيجة لأي ظرف من الظروف قد يتسبب ذلك في وقوع خلل في عملية التنشئة الاجتماعية.

ففي دراسة قام بها باحث فرنسي لويس بيرون (Louise Biron)، سنة 1977 في كندا على عينة من الأطفال المتمدرسين وربط في هذه الدراسة بين ظاهرة العمل وظاهرة الانحراف فوجد أن هنالك نسبة كبيرة من المنحرفين يعملون بالمساء خارج أوقات الدراسة أو في نهاية الأسبوع(Murice Cusson, 1981, p 187).

ومن خلال ما سبق يمكننا سرد أهم آثار ظاهرة عمل الأطفال على النحو التالي:

1-7- آثار تربوية:

إن الطفولة مرحلة هشة تتطلب عناية خاصة وفائقة تضمن النمو والتكامل بصفة متوازنة، ومن هنا فإن تقويض المقومات الأساسية التي ينبغي لكل طفل أن يتمتع بها في سبيل نموه السوي، من شأنه أن يقوده للوقوع فريسة للاضطرابات النفسية والتربوية وحتى الجسدية.

تعتبر ظاهرة عمل الأطفال من الانتهاكات الصارخة التي تعمل على زلزلة تلك المقومات، إذ غالبا ما يضطر الطفل العامل إلى معايشة ظروف وأوضاع بالغة الخطورة، ناهيك عن المعاملة القاسية العنيفة التي قد يتلقاها من أرباب العمل الذين يتفنن بعضهم في تعذيب الأطفال وتوجيه الإساءات اللفظية والجسدية إليهم، والتي قد تصل إلى مستوي الاستغلال الجنسي، تلك الإساءات التي لا تكتفي عادة على ترك بصماتها على الأجساد الغضة للطفل فحسب وإنما تتجاوز ذلك لتوجيه صدمات نفسية بالغة الخطورة لهم قد تؤثر على أمنهم واستقرارهم النفسي، ومن شأن فقدان الإحساس بالأمن لدى الطفل أن يؤثر على ثقته بنفسه ومنه توازنه النفسي والعاطفي في المستقبل.

كما أن ظاهرة عمل الأطفال تؤثر على الحياة المدرسية سلبا وذلك بتعرض الطفل لخطر التسرب المدرسي أو الرسوب كأقل ضرر طبعا بعد تذبذب تحصيله الدراسي وضعفه تدريجيا، إذ تدفع ظروف العمل غالبا بالطفل إلى إهمال دروسه والعجز على مواجهة المتطلبات المدرسية ما يزيد من قابلية تسربه من المدرسة إن لم يكن قد تسرب منها بالفعل، هروبا من الأساليب والأنماط التدريبية التلقينية القمعية التسلطية في كثير من الأحيان.

وعقب انقطاع الصلة بين الطفل والمدرسة سرعان ما يندمج مع سوق العمل الذي غالبا ما يتمثل في النشاطات المؤقتة في الشوارع خاصة في التجارة، أو في بعض الورش الصناعية في الأحياء الشعبية خاصة في النجارة والحدادة أو بعض الحرف اليدوية الأخرى، هذا إن لم يتخذ من الشارع مقرا دائما له.

وبطبيعة الحال يبذل أصحاب العمل في البداية قصارى جهدهم لجذب الأطفال واستدراجهم لسوق العمل، الأمر الذي يجعل منهم يتشربون بمستوى من القيم والأخلاق لا يتلاءم مع سنهم ولا مع القيم الاجتماعية السائدة، كاكتساب مختلف السلوك الانحرافي كالسرقة والغش والاعتداء والتدخين وحتى الإدمان على المخدرات أو الانضمام إلى بعض عصابات السطو والسرقة، أو تجعل منهم أعضاء في بعض شبكات الدعارة التي لا تتورع على استغلال الأطفال أبشع استغلال.

قد يضطر الطفل الذي يعمل في الشارع للبقاء فيه ساعات طويلة الشيء الذي يعيقه في متابعة دراسته، وقد يؤدي به الأمر حتى إلى التسرب نهائيا من المدرسة، ويجد نفسه من جهة أخرى محروما من اللعب الذي يعتبر نشاطا جد مهم في بناء شخصيته.

إن ظاهرة التسرب المدرسي ترتبط بالكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلا أننا هنا نركز على عمل الطفل، رغم إجبارية التعليم في الجزائر، ويعتبر ارتفاع معدل التسرب المدرسي في مرحلة التعليم الابتدائي من أهم المشكلات التي تزيد من نسب الأمية في المجتمع.

وقد أظهرت بعض الدراسات انخفاض مستوى التعليم بشكل ملحوظ بين أسر الأطفال العاملين حيث تبلغ نسبة أمية الآباء في إحدى هذه الدراسات 63% والأمهات 80.5%، وما يسهم في ذلك انخفاض وعي أسر الأطفال بأهمية التعليم، في انخفاض وتدني قيمة التعليم لديهم، ويؤكد هذا الوضع وجود علاقة عكسية بين عمل الأطفال والحالة التعليمية في أسرهم (عبد الفتاح، 2001، ص 99).

لقد تبين من الكثير من الدراسات أن غالبية الأطفال الذين التحقوا بالعمل في كافة من البلدان العربية أو غير العربية قد انقطعوا عن الدراسة والتعليم، أو لم يلتحقوا أصلا وارتفاع حجم الظاهرة في الوطن العربي يزيد من عدد الأميين والهامشيين في المجتمع في الأجيال القادمة، مما سيؤدي إلى نتائج أمنية واجتماعية غاية في الخطورة(عسيري، 2014، ص 118).

كما توصلت بحوث كثيرة إلى وجود علاقة عكسية بين عمل الأطفال ومسيرتهم الدراسية لأن حصول الأطفال على الأموال وتداولها يغريهم بالاستمرار في العمل والتخلي عن مقاعد الدراسة في وقت مبكر، كما يفضل بعض الأطفال العمل عن التعليم من الناحية الاقتصادية لأن استمرارهم في التعليم لن يغير شيئا من تصوراتهم المستقبلية، ويمثل هذا الموقف استجابة لحقائق بعينها بشأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لبيئاتهم، ومنها نقص الأعمال المحلية التي تستوعب أعداد كبيرة من العاملين المتعلمين وتدفع لقائها أجورا مجزية.

2-7- آثار صحية:

أشار العديد من الباحثين الاجتماعيين إلى المخاطر الصحية للعمل على الأطفال خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة تكوين الطفل الجسمية والعقلية والنفسية، فهو غير مستعد لممارسة أي عمل شاق على حساب نشاطات أخرى كاللعب والتسلية والتعليم.

إن الطفل في الحياة العملية قد يجد نفسه مرغما على العمل في أماكن قذرة تعرضه لمختلف الأمراض، وبما أنه يعمل بطرق غير قانونية فإنه لا يتمتع بأي حماية أو ضمان في حالة إصابته بأي حادث من حوادث العمل. فمثلا الطفل الذي يعمل بقطاع الفلاحة يتعرض لعدة أخطار كحرارة الشمس أو الرياح أو البرد والأمطار والجليد، وحتى المواد الكيميائية المستخدمة في الفلاحة يمكنها أن تشكل خطرا بالغا على صحته، فقد يتعرض لاستنشاق المبيدات وربما حتى أكلها من خلال بعض المحاصيل.

أما الذي يعمل في ميدان الصناعة يتعرض لأخطار أخرى ناتجة عن الآلات المعقدة التي لا يستطيع استخدامها جيدا، مما قد يعرضه أحيانا حتى للإعاقة الجسدية أو أي إصابة أخرى كفقدان أحد أصابعه أو يديه.

كما أن الضوضاء الشديدة خاصة في بعض ورشات النجارة والحدادة وبعض الورش الميكانيكية تنتج في كثير من الأحيان آثار سلبية على حاسة السمع لدى الطفل، أو ما يسمى بالصمم المبكر بالإضافة إلى عدم التركيز وبعض الآثار على الجهاز العصبي.

تكمن كذلك مصادر الخطورة الصحية في عمل الأطفال في كون الكثير من الأنشطة الإنتاجية تستعمل آلات معقدة وبعض المواد الكيميائية السامة، تعرض الأطفال لإصابات جسدية

مختلفة. كما أنهم عرضة لبعض الأمراض المستعصية والمزمنة بسبب الظروف غير الصحية التي يعملون بها، يضاف إلى ذلك النقص الكبير في الغذاء الذي من شأنه مضاعفة احتمالات إصابتهم الجسدية والمرضية.

وحسب دراسة أقيمت في المغرب فإن 59% من الأطفال المشتغلين هم معرضون للانتهاك العضلي والعظمي بسبب تعاملهم أثناء العمل مع آلات وأجهزة وسلع تحتاج لجهد عضلي كبير وأن 23% يرفعون حمولات تتراوح بين 5 إلى 10 كلغ و36% يرفعون أثقالا تتجاوز أوزانها 10 كلغ وذلك في عمليات متكررة وتوتر عالي بسبب ضغط الوقت، علما بأنهم يقومون بهذه الأعمال في وضعيات جسمية متعبة بنسبة 49% أو متعبة جدا بنسبة 22%(بوعلي، 2005-2006، ص 61).

وكذلك هنالك أعمال تتطلب وضع الجسم في شكل منحني أو في وضعيات غير مريحة لساعات طويلة قد تتعدى 12 ساعة في اليوم. فقد أشارت الإحصائيات إلى أن 72% من الأطفال العاملين في خدمات المنازل ومعظمهم من الإناث يبدءون عملهم من الساعة السابعة صباحا، وأن 95% منهم لا يتوجهون إلى النوم إلا بعد الساعة 11 مساءا، وبالإضافة إلى ساعات العمل الطويلة وانخفاض الأجور فإن بعض هؤلاء الأطفال يتعرضون للإساءة البدنية والتحرش الجنسي من قبل أصحاب الأعمال أو القائمين عليهم(بوعلي، 2005 2006، ص 61).

هناك بعض الأعمال تتطلب التحرك والتنقل من مكان لآخر حيث يضطر 39% من الأطفال العاملين إلى التنقل بشكل دائم لمكان العمل و20% يتنقلون بمعدل عالي دون أن ننسى الوسط المهني الذي يشتغلون به والذي يفتقر غالبا لأدنى شروط السلامة الصحية خصوصا في مجال أعمال الشوارع كالتجارة بأنواعها(بوعلي، 2005 2006، 61).

وفي دراسة قام بها أحمد بدران تعرض خلالها إلى الجوانب الصحية في عمالة الأطفال وجد أن ثلث الأطفال العاملين في عينة الدراسة تقل أعمارهم عن 12 سنة وأن 88% منهم يعملون أكثر من سبعة ساعات يوميا، ومن بينهم 24.1% يعملون أكثر من 12 ساعة يوميا في بيئة عمل متدنية في أغلب الأحيان، كعدم توفر مياه الشرب النقية، وارتفاع درجة الحرارة وسوء التهوية وغياب وسائل الوقاية من مخاطر العمل. كما لا يحصل الأطفال أثناء العمل على تغذية مناسبة ويتناولون في كثير من الأحيان أغذية فاسدة وملوثة، وهو ما يؤثر سلبا على حالتهم الصحية وعلى نموهم السليم، كما تبين أن أغلب هؤلاء الأطفال يستمرون في العمل رغم مرضهم ولا يتلقى أغلبهم علاجا مناسبا، كما أنهم لا يلقون عناية كافية في المستشفيات المجانية التي يلجئون إليها غالبا، ولا يتكفل صاحب العمل بعلاجهم. كما أثبتت الدراسة أن هؤلاء الأطفال لا يتمتعون بتأمين إصابات العمل لكونهم يعملون دون السن القانونية(رمزي، 1998، ص 78) .

وبالكشف الطبي على عينة الدراسة تبين أن 21.8% من هؤلاء الأطفال قد أصيبوا بمرض البلهارسيا و22.8% منهم أصيبوا بحالات إسهال مزمن و21.9% أصيبوا بأعراض بعض الأمراض المزمنة و2.8% يعانون من آثار نزلة شعيبية حادة(رمزي، 1998، ص 79).

7-3- آثار اجتماعية:

هنالك مشكلات اجتماعية عديدة قد تنجم عن ظاهرة عمل الأطفال حيث تؤدي إلى حرمانهم من مواصلة تعليمهم وتحصيلهم العلمي، إذ ينصرف الطفل العامل عادة عن الدراسة ويتفرغ وهو في سن مبكرة للعمل كمساعد هامشي لمن هم أكبر منه سنا، وبالتالي ينشئ وهو قليل التجربة والتعليم مما يؤدي إلي زيادة نسب الأمية في المجتمع.

كما نجد أن غالبية الأطفال العاملين ينقطعون نهائيا عن الدراسة والتعليم الأمر الذي وكما قلنا سابقا يزيد من أعداد الأميين والهامشيين في المجتمع في الأجيال القادمة، مما سيؤدي إلى نتائج أمنية واجتماعية غاية في الخطورة(عسيري، 2014، ص 118).

كما نجد من أبرز المشكلات الاجتماعية التي تترتب عن عمل الأطفال هي شح أو انعدام فرص العمل المتاحة للكبار ممن هم في سن العمل (البطالة)، حيث نجد وفي كثير من الأحيان أصحاب العمل يفضلون صغار السن من الأطفال للعديد من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية التي سبق الإشارة إليها مثل انخفاض الأجور والطاعة العمياء وعدم المطالبة بالحقوق، وغير ذلك من العوامل التي تجعل أصحاب العمل لا يرغبون في تشغيل البالغين ويفضلون عليهم الأطفال، مثل هذه الحالة تؤدي إلى تضاعف نسب البطالة في المجتمع الأمر الذي يؤدي إلى ظهور العديد من الإختلالات الاجتماعية.

كما أن هذه الظاهرة تؤدي إلى ظهور بعض السلوك والعادات الضارة لدى الطفل كتعاطي المخدرات والتدخين واكتساب عدة سلوك أخرى غير سوية كالانحراف الأخلاقي الذي يتعلمه من رفاق السوء. فمعدلات الجريمة مثلا تزيد في الدول التي ترتفع فيها معدلات عمل الأطفال، إذ أن هؤلاء الأطفال عادة ما يكونون دون أي وازع ولا رقيب ويختلطون بمن هم أكبر منهم سنا، ونتيجة لذلك يضطر هؤلاء الأطفال إلى الانخراط في بعض شبكات العصابات المنظمة، وغالبا ما يعملون في مجالات السرقة وتجارة المخدرات وحتى في الدعارة أحيانا، وتؤكد هذه الحقيقة العديد من الدراسات، حيث أشارت دراسة لرادابارنين في 1997 عن الأطفال العاملين في اليمن أن أكثر من 32 بالمئة من الذين شملهم المسح يتعاطون القات(عشبة مخدرة معروفة في اليمن) بعضهم يتعاطونها إلى 3 مرات يوميا، وبعض المرات مصحوبة بالتدخين من 10 إلى 20 سيجارة يوميا، كما أنهم يعانون من شروط العمل التي ترغمهم للبقاء لمدة طويلة بعيدا عن رقابة عائلاتهم مما يعرضهم للجريمة وشرب الكحول(عسيري، 2014، ص 115).

من ناحية اجتماعية أخرى فإن وجود هذه الظاهرة الاجتماعية في أي مجتمع سيؤثر سلبا على خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث لا تتماشى هذه الظاهرة مع متطلبات سوق العمل من حيث السن والمهارة، لأن التنمية الاقتصادية تعتمد على يد عاملة ذات كفاءة وخبرة، وليس على الأطفال حيث تؤدي إلى ضعف إنتاجية الفرد وعدم قدرته على البحث عن فرص عمل جديدة مما يؤدي إلى البطالة المقنعة.

بالنسبة للأسرة فقد تجد نفسها في مواجهة قيم جديدة يأتي بها الطفل العامل من الشارع هذه القيم هي في غالب الأحيان مبنية على أسس مادية اكتسبها هذا الطفل من الربح السريع الذي يتلقاه مقابل أعماله ونشاطاته التجارية، كما قد تجد الأسرة نفسها في صراعات ومشاكل، خاصة إذا تسبب هذا العمل في الانحراف.

تمثل هذه الظاهرة نتيجة لتراكم مجموعة من العوامل، وتهيئ بعض الظروف التي تصيب النسق الأسري، ومنه المجتمع ككل، فالانتشار الواسع للظاهرة ما هو إلا دلالة على فشل الأسرة والمجتمع على حد سواء في توفير ظروف مناسبة لنشأة الطفل بشكل سليم. كما أن الظاهرة تعد مؤشرا من مؤشرات التخلف الاجتماعي، وتذهب كثير من الآراء إلى أن ظاهرة الأطفال باعة السجائر والفول السوداني والجرائد هي انحرافا اجتماعيا ومظهرا مشوها للعمران والتحضر وبالتالي يعطي صورة سيئة عن شكل المدينة وثقافتها وتقاليدها.

- الخاتمة

مما لا شك فيه أن ظاهرة عمل الأطفال تمثل تحديا يحتاج إلى المواجهة التي تتخذ مسارا طويل الأمد يستلزم التنسيق بين مؤسسات الدولة وسياساتها. ففي الجزائر أصبح عمل الأطفال واسع الانتشار لكنه صعب من ناحية إحصائه وحصره نظرا لطبيعته غير الرسمية والهامشية (الاقتصاد الموازي)، حيث نجد الآلاف من الأطفال يمارسون أعمالا كثيرة تعود بالضرر على نموهم الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي نظرا لطبيعة ميدان العمل والمتمثل في أغلب الأحيان في الشارع وما يحمله من قيم ثقافية واجتماعية تنعكس على عملية التنشئة الاجتماعية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن نسبة كبيرة من الأطفال العاملين يغادرون مقاعد الدراسة مما يعرضهم للأمية مستقبلا.

قد يرى البعض أنه من الغريب أن نقول أن لظاهرة عمل الأطفال جوانب إيجابية، باعتبار أنها ظاهرة مرضية ومشكلة اجتماعية لكنها وفي كثير من الأحيان قد تكون لها آثار إيجابية خاصة إذا كانت غير مرتبطة بالاستغلال، أي الحالات التي يعمل فيها الطفل بمحض إرادته في العطل المدرسية دون المساس بمستقبله التعليمي، هنا يشكل موردا ماليا إضافية يساعد الأسرة على توفير مختلف الحاجيات خصوصا في مثل حالات الأسر الفقيرة أو ذات المداخيل المحدودة أو منعدمة المداخيل كما نلاحظه اليوم في الجزائر، حيث انخفضت القدرة الشرائية، مما أثر على الدور الطبيعي للأسرة كمؤسسة اجتماعية حيث أصبحت تعتمد على الابن كمورد للدخل لحمايتها من الانهيار خاصة في حالات الأسر التي تعيش تحت خط الفقر.

وفي الأرياف فإن طبيعة حياة الأسرة لا تميز بين العمل والراحة واللعب، فالعمل هو الحياة حيث أن الطفل في الريف ينضج مبكرا، فيصبح لزاما عليه أن يقوم بنصيبه من العمل، فنجد الإناث تساعد أمهاتهم في الأعمال المنزلية والذكور يعملون في مختلف النشاطات الأخرى المتعلقة بالفلاحة أو الرعي أو تربية الحيوانات كتنظيفها أو الاعتناء بها، وليس مسموحا للطفل أن يضل طفلا لمدة طويلة وأن ينال رعاية خاصة وهو لا يمثل أدنى عبء على من يتولى أمره خاصة من الناحية الاقتصادية.

كما أن عمل الطفل في سن مبكرة حسب كثير من المفكرين قد يمده بالإحساس بالرجولة المبكرة إذ يشعر بالثقة لقدرته على مساعدة أسرته اقتصاديا والإنفاق على نفسه، كما يزيد من قدرته على حل الكثير من مشاكله مما يساعده على الاعتماد على نفسه أكثر من الاعتماد على الآخرين مما يؤدي إلى زيادة دخل الأسرة وتحسين مستوى معيشتها، ويساعده كذلك على تعلم الكثير من المهن أو الحرف مبكرا الأمر الذي يزيد من قدراته ومهاراته في حياته مستقبلا.

- قائمة المراجع

- بن أشنهو عبد اللطيف.(1979). *تكون التخلف في الجزائر*، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- قويدر ابراهيم. (2002). *عمالة الأطفال في العالم*، القاهرة: مطبعة جامعة الدول العربية.
- Kiati Mostefa.(2006). *Le travaille des enfants en Algérie,* Alger :Edition FOREM.
- أحمد عبد الله.(1995). *الأطفال الكادحون، ظاهرة عمل الأطفال في مصر*، القاهرة: دار الطباعة المتميزة.

- Musette Saib.(1988). *Bilan de la demande sociale d'emploi*, Alger: CREAD.
- السويدي محمد.(1990). *مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري*، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد علي جعفر.(1984). *الأحداث المنحرفون*، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
- Maurice Cusson.(1981). *Délinquants pourquoi*, Montreal: les Edition Hurtubise HMH.
- عبد الفتاح أماني.(2001). *عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية*، ط1، القاهرة: عالم الكتب.
- عسيري عبد الرحمان بن محمد.(2014). *تشغيل الأطفال والانحراف*، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- بوعلي مبارك.(2005). *تشغيل الأطفال وعلاقته بالانحراف*، ديبلوم الدراسات العليا المتخصصة في علوم التربية، قسم علم النفس التربوي، جامعة محمد الخامس، المغرب.
- ناهد رمزي.(1998). *ظاهرة عمالة الأطفال في الدول العربية*، القاهرة: المجلس العربي للطفولة والتنمية.